معطيات عن الحياة الفكرية في مدينة حائل تحت حكم آل رشيد من خلال كتابات الرحالة.

د. خالد حسين محمود*

توطئة: ما فتئت مدينة حائل تثير اهتمام المؤرخين عرباً وأجانب، حيث خُصص لها مؤخراً أطروحات شاملة، ودراسات قطاعية، قدمت للمهتمين الإطار العام لهذه المدينة، وأوضحت كثيراً من خصائصها المشتركة. بيد أن تلك المجهودات انصبت بصورة قوية على دراسة التاريخ السياسي والعسكري[1]، أما الدراسات المتخصصة في التاريخ الفكري والثقافي فإنها شديدة الندرة[2]، وهو أمر يُعزى دون شك إلى طبيعة الأسطغرافية الحائلية، التي تظل قاصرةً عن إشباع نهم الباحث في هذا المجال، سواء ما يتعلق بالحوليات التاريخية[3]، أو كتب التراجم والطبقات[4]، مما يعزز قيمة المظان الأخرى ويعطي لها الصدارة المرجعية،، وعلى رأسها كتابات الرحالة، والتي تعد بحق سجلاً وافياً، ومصدراً أساسياً لدارسي التاريخ الفكري والثقافي لمدينة حائل خلال عصر آل رشيد، لما تحتويه من مادة ضافية قادرة على ملء الثغرات، وترميم النقص. والحقيقة أن الرجوع إليها برمتها يعد من الصعوبة بمكان، لولا ما أسهم به الباحثون من أبحاث ومقالات وكتب، كانت خير عون في استكشاف بعد القضايا؛ التي قد يكلف التنقيب عنا الشيء الكثير.

ملاحظات أولية: إن ما يجب تسجيله بداية قبل الخوض في الموضوع الملاحظات الآتية:

إن دراساتٍ عدة تغني الباحث عن تكرار ما قيل عن التعريف بالرحالة والرحلات إلى جزيرة العرب[5]وعن أهدافها وغاياتها ومراحلها التاريخية[6]، ومنهجية التعامل معها[7]، وإن اقتصرت غالبيتها على الرحلات الأوربية، وهو ما يدعو إلى لفت الانتباه إلى أهمية توسيع دائرة البحث ليشمل أيضا رحلات أخرى غير أوربية[8].

كان الدافع وراء اختيار عصر آل رشيد مداراً تاريخياً للبحث، أنه يمثل فترة ازدهار مشهود للحياة الفكرية في مدينة حائل، فضلاً عن أنه يندرج ضمن القرن التاسع عشر "قرن الرحلات"بلا منازع، حيث نما فيه وتطور أدب الرحلة،كما أنه ضم أكبر عدد من الإنتاج الثقافي والأدبي الذي يرتكز بالأساس على يوميات الرحلة ومخاطرها.كذلك لم يتمكن الباحث من مطالعة نصوص للرحالة الذين زاروا حائل قبل عصر آل رشيد (1834–1921مـ/1250–1340هـ)، حيث

* أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي– كلية الآداب– جامعة حائل وكلية الآداب– جامعة عين شمس– القاهرة.

انصب كل الرحلات المطلع عليها خلال القرن التاسع عشر الميلادي على هذا العصر، مما دفع إلى تحديد الحديث على النشاط الفكري والثقافي للمدينة في تلك الفترة الزمنية فقط[9].

إن الحياة الفكرية في حائل خلال عصر آل رشيد كانت امتداداً للحياة الفكرية التي شهدتها منطقة نجد عامة خلال حكم الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، حيث أعلن حكام حائل دوماً تبعيتهم للدعوة السلفية ومناصريها من آل سعود[10]، مما يعني أن الحديث عن حائل فترة البحث يعني اعتبارها تابعة بشكل أو بآخر للحكم السعودي في الرياض.

المامة بواقع الفكر الحائلي خلال عصر آل رشيد: صادف حلول القرن التاسع عشر الميلادي بمدينة حائل انتعاشاً شبه شامل للثقافة الإسلامية، نتيجة ما أحدثته الدعوة السلفية من حراك فكري شامل بالمنطقة[11]، وإن غلب عليه الطابع الكمي، حيث انصب اهتمام غالبية العلماء والفقهاء على شرح كتب المتقدمين والتحشية عليها وتلخيصها، فشاعت ظاهرة المختصرات في العلوم. ومهما يكن فإن مجرد ذكر أسماء المفكرين والكتاب الذين اشتهروا بما ألفوه من كتب، ومجالات التأليف فيها، كذا ذكر تعدد المراكز العلمية وانتشارها في مدينة حائل، ليكفي للحكم لهذه الثقافة بما وصفناها به.

هكذا لفت الانتعاش الملحوظ للحياة العلمية في منطقة حائل خلال تلك الفترة أنظار الأديب والصحفي والسياسي الأستاذ سليمان بن صالح الدخيل، فراح يسجل انطباعاته عنها قائلاً:"وأما العلوم والآداب في الحائل....قد وصلت إلى درجة تذكر في العلوم والمعارف.. انتقلت أكثر الكتب إلى حائل...أهل حائل....قد سبقوا غيرهم في العلوم العصرية، وذلك لاختلاف كبرائهم إلى الأستانة ومصر والحجاز أيام السلطان عبد الحميد المخلوع، فأصبح البعض منهم يعرف اللسان التركي والفارسي، وترى في بلادهم اليوم الكتب العربية القديمة النادرة الثمينة التي لا ترى لها وجودا في سائر البلاد العربية واغلبها غير مطبوع...وتؤانس جماعة منهم تطالع الصحف السيارة والمجلات الموقوتة، وأهل هذه الديار أنور من غيرهم من تلك الأقطار في العلوم العصرية وأوسع اطلاعا في الأمور السياسية...أما ميلهم إلى العلوم الأدبية كالشعر والنحو وعلوم الآلة والسياسة والاجتماع ففيما تظهر منافعه عن قريب إذا ما تحسنت الأحوال وتوفرت وسائط النقل والانتقال"[12].

إن تسجيل هذا النص– رغم طوله– يعد انطلاقة مهمة للحديث عن الحياة الفكرية في منطقة حائل، ففضلاً عن كونه معاصراً لفترة البحث، ومعبراً عن رؤية شمولية لصاحبه، فإنه يؤكد على

حضور فكري فاعل بمنطقة حائل خلال عصر الدراسة، ويضع المحاور الأساسية التي يمكن تناولها في هذه الدراسة، التي تسعى لإثباتها من خلال كتابات الرحالة.

الطابع العام للحياة الفكرية في منطقة حائل خلال عصر آل رشيد: كان للبنية الفكرية والثقافية والدينية التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبلغ الأثر في ترسيم الحياة العلمية والفكرية في منطقة نجد عامة وحائل على نحو خاص[13]، فقد طرحت الرسائل التي كان يبعث بها الشيخ إلى علماء البلدان وقضاتها مسائل علمية دار حولها البحث والجدل، وسعى كل فريق إلى إثبات صحة رؤيته حول تلك المسائل، مما أوجد مناخاً علمياً راجت فيه سوق الكتب الشرعية[14].كما كان تلاميذ الشيخ وأنصاره يقومون بنشاط مماثل لنشاط الشيخ في البلدان التي أُرسلوا إليها بتعليمهم للناس ونشر الدعوة بينهم[15]. كذلك أسهمت الدعوة بشكل عام في تعدد مجالات التعليم والتخصصات التي يدرسها طلاب العلم، فكان الاهتمام بكتب التفسير والحديث والنحو والصرف والسير[16].

لفت الرحالة الأنظار الى إدراك حكام منطقة حائل أهمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ازدهار الحركة العلمية، لذلك اتخذوا منها منهجاً أساسياً في الحكم، ودعامة قوية اعتمدت عليها الحياة العلمية في منطقة حائل[17]، فتنفيذاً منهم لتوجيهات حكام الدولة السعودية من وجوب الالتزام بدعوة الشيخ وإلزام السكان بها، ذكر الرحالة الانجليزي بلغريف الذي زار حائل عام 1862م/1279هـ أن عبد الله بن رشيد (1834-1847م/ 1249- 1263هـ) أمر أن يكون المذهب "الوهابي هو المذهب الرسمي للدولة الجديدة، وشجع المطوعين النجديين في تحمسهم للقضاء على كثير من الخرافات المحلية"[18]، أما أخوه عبيد آل رشيد فقد وصُف بالرجل المتشدد المتعصب للدعوة السلفية المواظب على ذم الكفار[19]، وانغمس في ذلك التزمت إلى حد "الشك في أن الرياض نفسها لم يكن فيها وهابي أكثر إخلاصاً من عبيد بن الرشيد الموجود في حائل..سوى بالأرض كثيراً من القبور التي ظلت لعدة قرون مزارات وتذبح لها الاضاحي"[20]، كما كان "ورعاً وتقياً، وبعيداً عن مكروهات الحرير والدخان، ومواظباً على قراءة القرآن"[21]. وحسب بلجريف[22] كان طلال الرشيد(1847-1866م/1263-1282هـ)"غير متراخٍ في أمور الدين...أعطى للتشدد الديني امتيازات مناسبة، فقد منع بيع الدخان بطريقة علنية...وصدرت أوامر إلى السكان بالمواظبة على حضور الصلاة" ،ووصف الرحالة التونسي محمد بيرم الخامس[23](ت1890م/1307هـ) محمد

بن عبد الله (1873-1897م/1290-1315هـ) بأنه "على مذهب الوهابي"، وهو الوصف ذاته الذي نجده عند الرحالة البريطاني وليامسون[24].

تحدث الرحالة عن صدور أوامر إلى السكان بالمواظبة على حضور الصلاة[25]، وإن التزم أهل حائل رجالا ونساءً بأداء الصلاة على مواقيتها دون أي إبطاء[26]، حتى إن المساجد كانت تكتظ بالمصلين[27]، وهو ما ينسحب على النساء اللاتي كن يحافظن على حضور الصلوات الخمس في المساجد بانضباط شديد،كما كن يحافظن على سماع خطبة الجمعة والصلاة خلف المصلين، وهو ما جعلهن دقيقات في تأدية فرائض الدين[28].

وتجلى التزام أهل حائل بالدعوة السلفية- من منظور الرحالة- في اعتبار لبس الحرير للرجال محرماً[29]، وتحريم التبغ[30]، واعتباره "عشب الشيطان"[31]، ولذا كان بيعه أو حيازته بصورة عرضية، يقود إلى عقوبة شديدة، ويمكن أن تؤدى إلى قطع الأذنين في حالة المذنبين الدائمين، حسب شهادة البارون ادوارد نولده[32]، وهو ما أكده الرحالة فالين[33] أيضاً حين ذكر أن شمرياً أخبره أنه لا يحمل على جمله نبتة من التبغ الكريه وإن أُعطى حملاً من الذهب، وحسب شهادة آن بلنت[34]"لم يكن التدخين من عادات أهل حائل..بسبب التشدد الوهابي".

كما اتسم أهل حائل بالتمسك الشديد بالأصولية القديمة، مما جعلهم لا يطيقون اليهود ولا النصارى[35]، وهو ما أوحى لآن بلنت[36] أن بعضاً من أهل حائل لم يكونوا مسرورين لوجودهم كأوربيين.

وعلى الصعيد الفكري شهدت منطقة حائل بعد ظهور الدعوة السلفية يقظة فكرية جادة، نتيجة ما أحدثته من استقرار سياسي؛ دفع الناس إلى الاهتمام بالنواحي الفكرية والانصراف إلى دراسة العلوم، فضلاً عن أن رسوخ مبادئ تلك الدعوة في نفوس حكام حائل وعلمائها؛ أوجد لديهم رغبة صادقة في خدمتها، سواء من خلال إحياء السنة النبوية، أو نشاط حركة التدوين والتأليف[37]. كما كان للقضاة والعلماء الذين كان يتم إرسالهم من الرياض دور كبير في إنعاش الحياة الفكرية بها[38].

تفسر لنا المعطيات الآنفة غلبة الثقافة الدينية على الحياة الفكرية في حائل عصر الدراسة، والتي لم تغب عن مخيلة الرحالة، فقد أكد أحد الرحالة[39] أن الهدف الذي يسعى إليه طلاب العلم هو تحصيل العلوم الدينية، كما تحدث فالين[40]عن ثقافة علماء حائل التي كانت تشمل: "حفظ القران

الكريم بكامله أو حفظ جزء منه، ومعرفة شعائر الاسلام وطرق القيام بها..والأحاديث النبوية"، وعليه فقد كان "تعليم القرآن واللغة العربية..يمثلان ..المواد الأساسية"[41].

التكوين الثقافي لأسرة آل رشيد: لا يكاد الباحث يقرأ مصدراً من مصادر المرحلة محط البحث، إلا وتطالعه إشارات عما اشتهر به بعض أفراد أسرة آل رشيد بالتزامهم الديني، ومتانة تكوينهم الثقافي، وسعة معرفتهم، حيث جرت بهم العادة أن يختاروا أحد العلماء المبرزين والمشهورين بغزارة العلم لتعليم أبنائهم[42]. وهكذا وصف الرحالة الانجليزي بلجريف[43] الأمير عبيداً آل رشيد بأنه حافظ للقرآن مداوم على تلاوته وقراءة تفسيره لأوقات طويلة. ونعت الأميرَ طلال الرشيد بأن "لديه كل احتياجات الأفكار العربية التي تضمن له حكماً وشعبية دائمة...معتدلاً وغير متراخ في أمور الدين"[44]، "يتذوق الشعر والحكايات"[45]. وأبدت آن بلنت[46] إعجابها بأخلاق حمود الرشيد"وذكائه وثقافته الجيدة".

أما الأمير محمد بن عبد الله الرشيد فقد كان "ذو فهم لاذع"[47]، تميز "بفكره المتنور"[48]، و"كانت عقلانيته تفوق ليس فقط أتباعه، ولكن أيضاً أقاربه إلى حد بعيد، وعلى الرغم من إيمانه إلا أنه يبدي تسامحاً نحو من يخالفونه في العقيدة..وهو يتحدث العربية والفارسية والتركية في درجة واحدة من الإتقان"[49]، حيث انغمس بشكل كبير في "الترف الثقافي"[50] وكان "مشتركاً في عدد من الصحف العربية والتركية في مصر وسوريا والقسطنطينية، وكان يقوم بكتابة العديد من الرسائل المطولة"[51]، وعلى علم "دقيق بقدامى الشعراء العرب، بالإضافة إلى معرفته بجميع أشعار الفكاهة البدوية قديمها وحديثها"[52]. لذا فإنه كان يقتني مجموعة من كتب الأدب منها: ديوان المتنبي، وشرحه لأبي البقاء، وديوان ابن المقرب، وديوان شعر نبطي، وكليلة ودمنة وكتاب سراج الملوك[53].

وحسب شهادة نولده[54] كان الأمير مطلعاً وملماً بالتاريخ الأوربي الحديث، بدليل أنه أخبره أنه يعرف "كل شيء عن منطقة الالزاس..إنه ذلك البلد الذي انتزع من فرنسا بواسطة الألمان قبل عشرين عاماً، وكنتيجة لذلك تم قصف المدينة المشهورة باريس، وإن الفرنسيين غاضبون جدا على ألمانيا لدرجة أنهم تحالفوا مع حكومة موسكو، وإن عدم الوضوح هذا شكل نقطة المركز لكل السياسات الأوربية، وإنها سياسات يتعلق بها مصير الدولة العثمانية، وهو مصير ذو أهمية كبيرة واهتمام بالنسبة لنا في الجزيرة العربية، ولنكون مستعدين مسبقاً"، وهو ما أثار إعجاب المستشرق

الروسي، والذي أردف الرواية بقوله: "ابن رشيد ذكي..مستنير ومطلع بصورة جيدة، إن فهمه الواضح للشئون الأوربية كان حقاً مثاراً للدهشة"[55].

وفي موضع آخر أبدى المستشرق الروسي ذهوله لثقافة محمد بن عبد الله الرشيد وإلمامه التام بالأفكار والمعتقدات الإسلامية المستمدة من مبادئ الدعوة السلفية، والذي مكنه من توجيه نقد لاذع لرجال الدين الشيعة والسنة التقليديين، الذين تحولت معتقداتهم إلى خرافات وأساطير غير عقلية، وتحريفهم لمبادئ الدين الحنيف تمشياً مع مصالحهم الخاصة، مما نتج عنه حالة من المقت والرياء والنفاق والفساد والفسوق، وهو موقف- حسب الرحالة- أشبه بمواقف رجال الدين الاصطلاحين في أوربا[56]،كما كان الأمير ملماً بعلم الفلك وحركة النجوم[57]، ولذا فقد احتوت هدايا آن بلنت له " منظاراً جيداً"[58]. وحسب شهادة الالوسي[59] كان الأمير عبد العزيز بن متعب (1897-1906م/ 1314-1342هـ) ذو "معرفة في الدين".

محفزات الحركة الفكرية في مدينة حائل زمن إمارة آل رشيد: لا شك أن هذا التكوين الثقافي لحكام حائل كان أحد العوامل التي أسهمت مع غيرها في تشكيل النشاط الفكري لمدينة حائل وإظهاره بهذه الصورة، ونستطيع أن نجتهد في إبراز أهم هذه العوامل فيما يأتي:

1-موقع حائل العبقري: لمواقع المدن والأقاليم تأثيرات خاصة على نمط الحياة وسلوك السكان وأذواقهم وقدراتهم البدنية والذهنية[60]، وقد تمتعت حائل بموقع استراتيجي مهم؛ يتوسط مراكز الحضارة في العراق والشام والحجاز؛ مما جعلها مركزاً حضارياً مهماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وسهل تسرب العقائد والعلوم والمعارف بشتى أنواعها وفروعها[61]. وكانت تلك الحقيقة حاضرة في مخيلة الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال فترة البحث، فمن جانبه اعتبر فالين[62] موقع حائل - كممر لمختلف القبائل التي نزحت إليها-ومناخها الممتاز دافعاً قوياً لتميز أهلها بالعقول المفكرة واللامعة والحرة، كما فتح المجال لهجرات متتالية من ذوي العقول الحيوية والمتقدة. أما الرحالة آن بلنت[63] فراحت تذكر ما أحدثه جمال المنطقة في نفسها قائلة: "كل مكان هو مثل أى مكان آخر تماماً، إلا جبل شمر، فلا شيء يشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم"، وعليه فـ"من المحال أن يشعر المرء حقا بالكآبة او القلق عند رؤية هذه الشمس المشرقة والنسيم النقي العليل"[64].كما كان لموقع حائل في طريق الحجاج[65] أثره في استفادة أهلها من ثقافات هؤلاء الحجاج وأفكارهم

وعاداتهم بل ولغاتهم[66]، ولذا أشاد الرحالة بمعرفة بعض سكان حائل لغات الحجاج ومنها التركية والفارسية[67]، فضلاً عن الكتب التي كان يحملها هؤلاء الحجاج[68].

رواج الحياة الاقتصادية وازدهارها: أكد ابن خلدون[69] على علاقة تلازمية تربط بين الحياة العلمية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية، إذ" أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش"، لذا فـــ"إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"[70]، بما يعنى أن تطور الحياة العلمية في أي مكان تتأثر بالاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والتطور العمراني[71]، وهو ما تمتعت به منطقة حائل، التي شهدت فترة البحث انتعاشاً اقتصادياً ملحوظاً أكد عليه الرحالة، حيث تنوعت بها المحاصيل الزراعية على اختلاف أشكالها[72]، وتعددت أنواع الثروة الحيوانية[73]، وراجت الحرف والصناعات[74]، وانتعشت حركة التجارة بشكل كبير[75]، وتكدست الثروات لدى أرباب السلطة والمتنفذين من جراء الضرائب المفروضة، ورسوم المرور التجاري بالمدينة[76]، وهكذا ترك عبد الله بن رشيد لولده بعد وفاته"بيتاً مليئاً بقطع الفضة مما جعل كل خلفاءه ينعمون بالغنى والقوة"[77]، وقدر نولده[78] ثروة محمد بن عبد الله الرشيد ما بين 1:5 إلى 2 مليون جنيه استرليني، فقد كان يتحصل على عائد سنوي ما بين 60000 إلى 75000 جنيه استرليني. ولا شك أن جزءً من هذه الأموال كانت تجد انعكاساً إيجابياً على نواحي الحياة بالمنطقة ومنها الناحية العلمية[79].

دعم أمراء آل رشيد للحركة العلمية: أشاد الرحالة بإسهام أمراء حائل من أسرة آل رشيد في دعم الحركة الفكرية بشتى الوسائل، فقد شجعوا على قدوم عناصر فكرية مختلفة إلى حائل[80]، ولم تكن تخلو مجالسهم من وجود علماء وأدباء[81]، وحلقات للمذاكرة والمناظرة[82]،كما يُحسب لهم تقديرهم لرجال الفكر ورفع مكانتهم، فقد خصصوا مرتبات وأعطيات دورية لأهل العلم والأدب[83]، وأسسوا عدداً من مراكز العلم، وجلبوا إليها المعلمين من سوريا ومصر، واستقطبوا إلى حاضرتهم القضاة من المراكز الأكثر علماً، لنشر التعليم بين الناس[84]، ووقفوا الكتب العلمية على طلبة العلم[85].

وفور الأمن واستقرار الحياة السياسية: أشاد الرحالة بشيوع الأمن في منطقة حائل خلال عصر آل رشيد، فقد عقد الرحالة فالين[86] مقارنة بين حالة الفوضى التي عانت منها المنطقة قبل حكم عبد الله بن رشيد، وظاهرة الأمن التي رسخها مع بداية حكمه. ومن جانبه أكد بلجريف[87] أن الأمير

طلال الرشيد بذل جهداً مشهوداً في "تأمين الطرق السريعة، ووقف عمليات السلب والنهب"، بحيث كان في استطاعة "المسافر السير دون سلاح ودون حراسة ودون عوائق...وأهل المدينة يتنقلون على ظهور الحمير أو على أقدامهم دون مسدس أو رمح حاملين معهم كل ما يملكون"، وهكذا أصبح في عهده "هدوء الأحوال واستقرارها... سمتين من سمات جبل شمر". وهو ما ينسحب على الأمير محمد بن عبد الله الرشيد، الذي أكدت آن بلنت[88] أنه استأصل شأفة قطاع الطرق، و"صار بمقدور المسافرين التنقل بكل أمان في أي جهة بالبادية ولو حملوا ذهباً دون أن يتعرضوا لخطر السلب، وكذلك فلا وجود للسراق في المدن".

التسامح الفكري والديني: انطلاقاً من مبادئ الدعوة السلفية،تميز حكام حائل بالتسامح مع مخالفيهم في الرأي والاعتقاد طالما لا يتعارض مع الشرع الحنيف[89]، وهو ما كان كفيلاً بانتعاش الحركة الفكرية، وتجلى في كثير من المواقف، فقد سمح الأمير طلال الرشيد للتجار والعلماء الشيعة من أهل البصرة والنجف للإقامة في حائل، كما بذل جهداً في إقناع اليهود والمسيحيين من الشمال للحضور إلى عاصمته والإقامة فيها، واعداً إياهم بالحماية وضمان حرية العقيدة[90]. وهكذا صادف الرحالة بلجريف[91] عدداً من الشيعة القادمين من مشهد علي، ومعهم كتباً في المذهب الشيعي، وأخرى تمجيدية تحمل مزايا خيالية لعلي بن أبي طالب أو احد من أسرته.

قضاة الدعوة السلفية: كان من بين العوامل التي أسهمت في النهوض بالحركة العلمية في مدينة حائل خلال تلك الفترة تعيين القضاة فيها من قبل حكام الرياض، الذين كانوا يُرسِلون إلى جبل شمر قضاة بشكل سنوي[92]، وقد أحدث هؤلاء القضاة حراكاً فكرياً وأسهموا في نشر العلم، سواء من خلال حلقات العلم التي كانوا يعقدونها، أو من خلال المؤلفات التي كتبوها وانتشرت بين طلاب العلم[93].

ولنا أن نقدر دور هؤلاء القضاة في تنشيط الحركة العلمية من خلال ما ذكره المستشرق فالين[94] حين قال "إن القاضي في هذه الديار هو الممثل الآخر للثقافة الإسلامية،..يتلقى علومه في إحدى المدن الكبيرة المجاورة....الخطيب والقاضي رجال علم في جبل شمر".

من مظاهر الحياة الفكرية في حائل خلال إمارة آل رشيد

طرق نقل العلم ووسائله: الحقيقة إن المعلومات الواردة بكتب الرحالة عن المؤسسات التعليمية تتصف بالندرة الشديدة، ولعل انشغالهم بتسجيل الأمور السياسية والآثار جعلهم يضربون عن هذه

المؤسسات الذكر صفحاً، فضلاً عن أن عقيدتهم المسيحية –غالباً- أوجدت لدى الأهالي تحفظاً شديداً من دخولهم لهذه المؤسسات، والتي شكلت الكتاتيب والمساجد عنصراً رئيساً فيها، ولا أدل على ذلك من رواية نولده[95] التي تحدث فيها عن استنكار أئمة حائل له عن عدم استفساره عن المساجد والمدارس، معتبرين ذلك ضرباً من عدم الاهتمام أو حتى عدم الاحترام لتلك المؤسسات، وهو ما دفع الرحالة إلى المبادرة بدفع تلك التهمة قائلاً:" في كل العالم الاسلامي سوف يتم تقبل الزيارة بتردد كبير إذا ما دخل المسيحيون وغير المؤمنين المساجد..لقد كان هذا هو المنطق الذي من أجله قررت إظهار الاعتبار الخاص لهذه المؤسسات".

بيد إن ذلك لم يحل دون ورود اشارات عفوية بهذا الخصوص، فقد أشار الرحالة إلى الكتاتيب[96] باعتبارها المركز الرئيس للتعليم خلال تلك الفترة، فقد كان يُطلق على معلم الكتاتيب لقب "المطوع"، ومن أهم صفاته أن يكون حافظاً للقرآن الكريم، مستقيماً، ورعاً، صادقاً، حسن الخلق، يعرف بالسماحة والتواضع والوقار والزهد والهيبة إلى جانب العلم الوافر وحسن الخط[97]، ويشير الرحالة هوبير[98] إلى مطوع يدعى "عواد" كان قد قام بأمر من الأمير محمد بن عبد الله بنسخ نقش حميري من على جبل سرا على غلاف كتاب وزود به الرحالة. وتتوفر في بعض كتب الرحالة صورة عن طريقة التعليم داخل الكتاب، حيث يتعلم الأولاد قراءة الحروف ثم يقوموا برسم أشكالها بأقلام الكلس على سبورة صغيرة سوداء[99]. ونتيجة انتشار الكتاتيب[100] في حائل خلال فترة البحث أكد الرحالة[101] أن الكثير من أهلها كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

دأب غيرهم من أهل السلطة والنفوذ لم يرض أمراء الأسرة الحاكمة في حائل أن يختلط ابناؤهم بأبناء العامة في الكتاتيب، ولذا فقد حرصوا على اجتذاب أمهر المعلمين إلى قصورهم لتعليم الأبناء[102].

تُعد الكتاتيب مرحلة تمهيدية للدراسة التالية التي ينتقل إليها الطالب في الحلقات والمجالس العلمية في المساجد[103]، فقد أشار موزل[104] إلى تأثير علماء جامع برزان على الحركة العلمية تأثيراً ينافس نتاج المراكز العلمية في نجد، ولشهرة حلقاته فقد عده أكبر مدرسة تدرس العلوم الدينية في حائل بجانب مدرسة لبدة. وجرت العادة أن يفسر الخطيب بعد صلاة الظهر أحاديث نبوية أو آيات من القرآن الكريم، أو يشرح تعاليم الدعوة السلفية في التوحيد[105]، وبعد صلاة العصر يتم قراءة فصل أو قسم من أحد كتب التراث، ويعقب ذلك موعظة قصيرة أو تعليق على المادة المقروءة[106]، وبعد انصراف المصلين يجلس بالمسجد عدد من طلاب العلم في حلقة، ويتم تعين

شخص للقراءة واضعاً على ركبتيه مخطوطاً كبيراً سواء في الحديث أو السيرة أو التاريخ لمدة خمس عشرة دقيقة[107].

لم تقتصر حلقات العلم على المساجد، وإنما امتدت لتشمل قصور الأمراء ودور المتنفذين والأثرياء؛ حيث كانت تُعقد بها حلقات العلم الخاصة بحضور أهل العلم والمبرزين في مختلف العلوم[108]، وقد أعطى بلجريف[109] وصفاً لهذه المجلس التي كان يُقرا فيها شيء من السيرة أو صحيح البخاري، كما أنه حضر نقاشاً عقدياً في الرد على بعض اعتراضات القدرية في دار أحد وزراء الأمير طلال الرشيد، وفي دار واحد من أثرياء المدينة حضر حواراً فكرياً ذا طابع كلاسيكي صاف، تناول فيه الحاضرون فضائل الشعراء والمؤلفين العرب.

يبدو أن تطوراً ملحوظاً شهدته المؤسسة التعليمية في عهد محمد بن عبد الله الرشيد ممثلاً في ظهور المدارس النظامية[110]، والتي لم تكن معروفة في حائل قبل عهده حسب شهادة فالين[111]، فقد ذكر ادوارد نولده[112]، الذي زار حائل عام 1893م/1310هـ أن الأمير أبدى اهتماماً مشهوداً بالتعليم، فأسس "أربع مدارس في حائل، وتوصف هذه المدارس وفق معايير العرب بأنها جيدة للغاية...وجلب عدداً من المعلمين من سوريا ومصر وكان يحاول بمساعدتهم توسيع نشر التعليم"، ويذكر داوتي[113] أن مدير إحدى هذه المدارس كان معيناً من قبل الدولة العثمانية. وكان وجود مدارس بهذا الشكل المتميز في حائل وحضور علماء أفذاذ للتدريس بها من أشد ما لفت أنظار الرحالة الألوسي[114].

كانت ظاهرة تلقي الأبناء العلم على يد الآباء مألوفة في مدينة حائل، حيث ذكر فالين[115] عند زيارته لحائل أن "الأبناء يأخذون عن آبائهم مبادئ أصول الدين، ويتعلمون في السنوات الأولى قراءة القرآن الكريم وتلاوة الصلوات، وأكثر معلوماتهم الأخرى يحصلون عليها شفويا من المعمرين الذين لا يبعد عنهم الصغار".

يشير الرحالة إلى الرحلة في طلب العلم باعتبارها وسيلة يتبعها طالب العلم في سبيل تحصيل العلم والمعرفة بعد انتهائه من مراحل دراسته الأولية في الكتاتيب وحلقات التدريس في المساجد؛ بالسفر إلى البلدان المجاورة للاستزادة في طلب العلم، حيث يذكر فالين 16[1] أن علماء حائل وأئمتها وقضاتها وطلاب العلم فيها كانوا يتلقون ثقافتهم في المدينة المنورة، أو في القاهرة، أو في الرياض أو في احدى المدن الكبيرة المجاورة لحائل، لا سيما الفقه الحنبلي، والنحو والتفسير.

خزائن الكتب: ليس صحيحاً ما ذكره فالين[117] أن اعتناء أهل حائل بجمع الكتب كانت "قليلة جداً... ولا يملكها سوى القاضي"، حيث اتسمت فترة الاستقرار في حائل عصر الدراسة بتنافس الأسر والخواص في اقتناء الخزائن وجمع الكتب، بل كان هناك من أقبل على شراء الكتب ليس بغرض الثقافة بل بهدف وضعها تحت تصرف الدارسين والباحثين[118]، ولذا فقد ألحت المصادر على اعتناء أهل حائل الشديد بجمع الكتب مهما غلا ثمنها[119]، فكان منهم من له "اعتناء بجمع الكتب"[120]، ومن كان "شغوفاً بجمع الكتب"[121]، ومن كان"مولعاً بالكتب"[122]، ومن كانت "لديه مكتبة عظيمة تضم أكثر من عشر آلاف كتاب"[123]، وهو ما يفسر ظاهرة خزائن الكتب التي انتشرت في حائل فترة البحث[124]، والتي أشار الرحالة إلى بعضها، فقد كان لعبيد الرشيد مكتبة ذكر داوتي[125] أنه شاهد فيها عشرات المجلدات في غلافها القطني ومجلدة بجلد أحمر، وقد آلت هذه الكتب إلى مكتبة الشيخ صالح البنيان، الذي ذكر في فهرسه ما نصه "كتب آل عبيد التي فاضت علينا"، ثم أحصى خمسين عنواناً[126]. وسجل بلجريف[127] إعجابه بأحد قضاة حائل في عهد طلال الرشيد يدعى "محمد" كان قد زاره في بيته ووجد بحوزته خزينة للكتب، بعضها على شكل مخطوطات، وبعضها مطبوع في مصر، في القانون، والتراجم، والتاريخ، والفقه، والسيرة، والقصص، والمواعظ. وحسب شهادة بلنت[128] كان ضمن حاشية الأمير محمد بن عبد الله شخص يُدعى سليمان كان محباً لجمع الكتب والمخطوطات، وكانت بداره خزانة لنوادر المخطوطات.

العقيدة: كان للعقيدة وعلم التوحيد اهتمام كبير لدى علماء منطقة حائل، خاصة بعد ظهور الدعوة السلفية، والتي كان من أهم آثارها محاربة البدع ومظاهر الشركيات، والحث على إخلاص العبادة لله وحده، وتحقيق مظاهر التوحيد، وشاعت في المنطقة كتب العقيدة وأصول الدين[129]، وعليه فقد أكد الرحالة على تجذر العقيدة السلفية في ثقافة المجتمع الحائلي، فقد انتشرت بحائل كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل كتاب "التوحيد" وكتاب "الكبائر"، وكتاب "كشف الشبهات"، وكتاب "بساتين الأولياء"[130]. وكان للفقهاء دورهم في هذا الجانب حيث كانوا يتلقون من السكان الأسئلة المتعلقة بالموضوعات العقدية أمام أبواب المساجد، ويقومون بشرحها والرد عليها[131]، كما كانت تُثار في الجلسات الخاصة موضوعات تتعلق بالقدرية وكيفية الرد عليهم[132]. وتحفظ لنا المصادر الأخرى[133] عناوين مؤلفات لعلماء حائل في مجال العقيدة.

المذاهب الفقهية: يؤكد فالين[134] أن سكان حائل اتبعوا المذهب الحنبلي مذهب الدعوة الإصلاحية، وعلى أساسه كان القاضي يصدر أحكامه، لكن يبدو أن سياسة التسامح التي اتسم بها

أهل حائل أتاحت المناخ لحضور مذاهب أخرى، فقد رفع أحمد باشا الذهير تقريراً إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عام 1308هـ/1890م أشار فيه أن أفراداً في جبل شمر كانوا يتبعون المذهب المالكي[135]، ويبدو أنه يشير إلى قبيلة مطير التي أكد لوريمر[136] أنها تتبع هذا المذهب.

اللغة والشعر: نقل الرحالة افتخار أهل حائل بنقاء لغتهم وسلامتها مقارنة بلغة أهل العراق والشام ومصر والحجاز، وأنها أقرب شيء للغة القرآن[137]، وقدم بلجريف[138]صورة لتمكن أهل حائل من اللغة، متمثلة في أحد حاشية قصر الأمير طلال الرشيد، والذي كان ينطق لغة "ملفوظة لفظاً صحيحاً، مبيناً فيها مواقع النبر تبياناً لا يمكن أن يتشكك فيه النحاة"، وأكد داوتي[139] أن الأمير محمد بن عبد الله الرشيد كان "يقرأ جيداً بالحروف العربية". وبشكل عام ذكر فالين[140] أن "الشعر في جبل شمر هو في بيته والناس رجالاً ونساء ترتجله، ويحفظ الصغير والكبير قصائد كثيرة وأمراء آل رشيد شعراء كامرئ قيس"، وهو ما أكده أيضاً لوريمر[141]. وحسب روايات المصادر الأخرى برز العديد من الشعراء الفحول في تلك الفترة من أسرة آل رشيد[142] مثل عبد الله بن على آل رشيد، وعبيد بن على آل رشيد[143]، وطلال بن عبد الله آل رشيد، وبندر بن طلال بن عبد الله، وحمود بن عبيد، ومتعب بن حمود بن عبيد وغيرهم[144]،كما ذكر فالين[145] أن عبد الله بن رشيد شاعر ماهر "شعره جميل".

وانتشرت في حائل المساجلات الشعرية، التي كانت تتطرق لشتى أنواع الشعر من فخر ومديح ورثاء وهجاء ووصف وعتاب، وعادة ما تكون على أوزان خاصة[146]،كما لاحظ اوتينج[147] عدداً من الأشخاص يلعبون على الربابة منشدين بعض الأغاني الحزينة، وسجلت آن بلنت[148] إحدى أراجيز الحرب الشمرية. ومن جانبه ذكر فايس[149] أنه ليس من الغريب أن يسمع المرء في حائل البدو والفقراء من الحمالين والسقاة يحفظون أبياتاً شعرية للمتنبي والشيرازي أو جامي أو الفردوسي.

التاريخ: يؤكد الرحالة أن لأهل حائل رغبة شديدة في دراسة التاريخ[150]، وحسب شهادة نولده[151] فإن الأمير محمد بن عبد الله الرشيد كان مطلعاً وملماً بالتاريخ، وكان يقتني عدداً من الكتب التاريخية منها كتاب " أخبار الدول وآثار الأول" للقرماني (ت1019هـ) الذي شاهده الرحالة داوتي[152] بمكتبة الأمير وقد ميزه الأمير عن غيره من الكتب بشريط أحمر. ووصف

بلجريف[153] واحداً من حاشية طلال الرشيد وهو عبد المحسن "بمعرفته الواسعة بالتاريخ العربي والطرف العربية" وهو ما جعل الأمير يحتفظ به لنصائحه السليمة ومشورته الحكيمة.

الطب والتداوي الشعبي: خلافاً لما ذكره كلٌ من فالين[154] وحسني[155] بأن ثقافة أهل الفكر في حائل لم تتعد الثقافة الدينية، وأن العلوم الدنيوية البحتة غير مرغوب فيها، أكد الرحالة على موسوعية الثقافة الحائلية التي تعدت العلوم الدينية واللغوية، واشتملت على عدد من العلوم البحتة، ففي مجال الطب كان الأمير طلال الرشيد على دراية مشهودة به، حتى أنه كان يوجه للرحالة بلجريف أسئلة طبية ليكتشف خبرته المهنية في هذا المجال[156]. وكان عبد المحسن العليان يتدرب على ممارسة الطب وعلى علم بفن العلاج[157]، وقد كان شغوفاً بقراءة كتب الطب[158]، بل أشاد بلجريف[159] بالثقافة الطبية التي انتشرت بين عامة الناس حتى بين الزنوج العبيد حتى أنهم كانوا "يحفظون عن ظهر قلب التقسيم الرباعي للتكوين الانساني"، وذكر أن قبيلة الصليبة كانت على دراية كبيرة بفن الطب، وكان منهم جراحون يجرون البذل واستخراج الحصى، ويعالجون كثيرا من الأمراض المعقدة على اختلاف أنواعها.

تفتح بعض نصوص الرحالة ملفاً هاماً من ملفات الطب الشعبي وموروثاته في مدينة حائل فترة البحث اعتماداً على الأعشاب الطبيعية والعقاقير المستخلصة، فقد نعت داوتي[160] بعضاً من نساء البدو في شمر بأنهن متمرسات حكيمات بالنباتات الطبية، وبشيء من التفصيل، استخدم السكان الكبريت، وكبريتات الزئبق، وكبريتات الزنك، ونباتي السنا والحنظل في العلاج[161]، ونبات ذو أوراق سميكة يسمى "الغِسة" في أمراض العيون[162]، وجرعة مستخلصة من مملكة زهرة الكاميليا لعلاج الإمساك[163]، وحليب الإبل التي أنجبت أول مرة في علاج الاستسقاء وفقر الدم، وبول الناقة البكر لعلاج أمراض المعدة[164]، و"الكينا" لعلاج حمى الملاريا[165].

الجغرافيا والرياضيات والفلك: كان لبعض مثقفي حائل عناية خاصة بكتب الجغرافية، فها هو داوتي[166] يشير إلى شاب غمرته سعادة بالغة حين وضع المستشرق بين يديه كتاباً جغرافياً باللغة العربية كتبه مبشر أمريكي من بيروت، حيث تلعق به الشاب "تعلق الظمآن بالآداب"، وعكف على قراءته حتى عم الظلام، فوضعه على رأسه تقديراً له، وحين رفض الرحالة بيعه له، أعاره إياه لينتهي من قراءته ليلاً، يذكر نولده[167] أن الجغرافيا والرياضيات كانت من ضمن المواد التي كانت تُدرس في مدارس حائل، وأنه قد عُرض عليه اثنين من صبيان البدو لتفوقهما في الرياضيات،

وتميزهما في فهمهما بصورة سلسلة، للدرجة التي كانوا معها قادرين على استخدام الفواصل العشرية. ويعطي بلجريف[168] تفسيراً لذلك متمثلاً في الاشتغال بالتجارة الذي مارسه الكثير من سكان حائل، حتى أن "نسبة من يجيدون عمليات الجمع البسيطة المعتادة تصل تسعة أشخاص من بين كل عشرة".

كما سجل نولده[169] دهشته من معرفة أهل حائل بعلم الفلك، لا سيما الأمير محمد بن عبد الله الرشيد الذي تميز بمعرفته الكبيرة بهذا المجال من المعرفة، حيث كان يعرف أسماء مئات النجوم بالتحديد الدقيق، وكيف أن كل واحدة منها تغير موقعها خلال الساعة الواحدة، وأنه كان شديد الانهماك في هذه الأمور للدرجة التي يراجع ويقارن فيها بصورة يومية ساعاته وبوصلاته المختلفة، وأنه كان يمتلك جهاز (البارومتر) لقياس الضغط الجوي. وحسب داوتي [170] فإن الأمير كان يمتلك عدداً من المناظير الممتازة.

الهندسة والزخرفة: ذكر الرحالة براعة بعض سكان حائل من الشيعة في فن البناء، حيث بنوا لهم في حائل قصوراً على طرق هندسية حديثة على المنطقة، كما تجلى تأثيرهم في فن الزخرفة على الجدران والكتابات والأشكال الهندسية[171]، وأشاد داوتي[172] بمهارة صانع حائلي يدعى"غانم" في زخرفة الجدران برسوم الطيور والأزهار والآيات القرآنية والمقولات الدينية.

صفوة القول: إن كتب الرحالة تحمل بين ثناياها نصوصاً غاية في الأهمية للكشف عن جوانب متعددة من الحياة الفكرية في مدينة حائل خلال عصر آل رشيد، فقد رصدت المحفزات الرئيسة للحياة الفكرية، وبعضاً من طرق ووسائل التعليم كالكتاتيب والمساجد والرحلات العلمية وخزائن الكتب، وأفصحت عن تكوين ثقافي مشهود لأبناء أسرة آل رشيد، وأعطت رؤية شمولية للطابع الديني الذي غلب على ثقافة أهل حائل خلال تلك الفترة، تأثراً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإن لم يعن ذلك غياب العلوم الأخرى كالطب والفلك والرياضيات والجغرافيا.

بيد أن معطيات الرحالة عن الحياة الفكرية في مدينة حائل خلال فترة البحث تظل في التحليل الأخير قاصرة عن الامساك بمفاصلها، وتقديم تفصيلات دقيقة حولها، لانشغالهم – خدمة لأهدافهم الاستعمارية- بتفاصيل الحياة السياسية والعسكرية والجوانب الجغرافية والطبوغرافية، فضلاً عن أنها أعطت أحكاماً متسرعة حول الحياة الفكرية، مخالفة للحقائق التاريخية، والتي حاول الباحث قدر المستطاع تفنيدها والرد عليها من خلال المصادر الأخرى.

الهوامش:

(*) انظر على سبيل المثال: السويداء، عبد الرحمن: منطقة حائل عبر التاريخ، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ، العثيمين، عبد الله: نشأة إمارة آل رشيد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، 1401هـ.، عبيد، جبار: التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥-١٩٢١م، الدار العربية للموسوعات، 2003م، زعارير، محمد عبد الله: إمارة آل رشيد في حائل، بيسان،1997م، آل علي، محمد بن مهنا: إمارة آل على في منطقة حائل، دار المؤيد، جدة، 1424هـ، السعدون، خالد حمود:"موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى كما صورته الوثائق البريطانية، الدارة، س9، ع2 (المحرم 1404، أكتوبر 1983)، ص ص 28 – 40،

Paran,Michel,The Rashidi Amirate of Hayl: The rise, development and decline of a pre modern Arabian principality, doctoral dissertation, University of Michigan,1992.

(2) إذ لا يمكن نذكر سوى كتاب "الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية" للأستاذ عبد الرحمن السويداء، الذي لا يتعد في التحليل الأخير عن كونه تراجم ذاتية أكثر منه رصداً لمظاهر الحياة العلمية، ورسالة الباحث حاتم الشمري "الحياة العلمية في منطقة حائل في عهد الملك عبد العزيز"، والتي تعد دراسة جادة، نوع فيها الباحث من مصادره، وإن لم تنل كتابات الرحالة منه جهداً ملحوظاً.

(3) مثل كتاب "القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد" لسليمان الدخيل، وكتاب "نبذة تاريخية عن نجد" لضاري الرشيد، وكتاب "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد" لابن عيسى،و كتاب "شذا الند في تاريخ نجد" لصالح بن مطلق النجدي، وكتاب "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد" لابن عيسى، وكتاب "صدى الحرب" للحجي.

(4) على سبيل المثال كتاب"زهر الخمائل في تراجم علماء حائل "للهندي، وكتاب"روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين"لابن عثمان القاضي.

(5) انظر عرضاً ببلوجرافياً لها عند فراج،عبد الرحمن أحمد عبد الهادي:"أدب الرحلات الى المملكة العربية السعودية: قائمة ببلوجرافية مختارة"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية- السعودية، مج 4، ع 2، (1999)، صص269- 289.

(6) انظر مثلاً فهيم، حسين محمد: أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، الفارس، أسعد عيد:"الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية، أهدافهم وغاياتهم"، ضمن ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، عبد الرحمن، عبد الله:" كتابات الرحالة الغربيين مصدرا لتاريخ الجزيرة العربية"، مجلة الدارة، ع1، س27 ،1422هـ، ص ص21-48، زكريا، جمال "الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، ضمن ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص ص 9-28.

(7) انظر على سبيل المثال مقال: الحجري، هلال:"أدب الرحلات والاستشراق البحث عن المنهج"، المجلة العربية للعلوم الانسانية، مج26، ع102، 2008م، ص ص 11-62.

(8) لا تزال الرحلات الأخرى غير الأوربية في حاجة إلى اهتمام ورعاية من قبل الباحثين لاستكمال الصورة التي ترسمها تلك الرحلات عن المنطقة، بدلاً من الاعتماد على نمط واحد.انظر مقدمة كتاب ناكانو، ايجيرو: الرحلة اليابانية الى الجزيرة العربية، ترجمة سارة تاكاهاشي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1419هـ، ص9،و كذا، نوح، سمير: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، جامعة الإمام، الرياض، 1419هـ/1999م.

(9) تعد مغامرة محفوفة بالمخاطر محاولة البحث في التاريخ الحديث لمنطقة حائل قبل عصر آل رشيد، فضلاً عن الحديث عن الحركة العلمية ونشاط المنطقة ثقافياً، وذلك لانطمار المصادر الأساسية. انظر الرديعان، حسان: منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل، مكتبة فهد العريفي بحائل، 1430ه، ص 28.

(10)فالين، جورج أوغست: صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سمير شلبي، هلنسكي، 1991م،،ص 102 ،105، 263، 305، بلجريف، وليام جيفورد: وسط الجزيرة العربية وشرقها (1862-1863)، ترجمة صبري حسن، المجلس الاعلى للثقافة، 2001م ،ج1، ص157، 163، نولده، البارون ادوارد: الاوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر، تعريب وتحرير عوض البادي، دار بلاد العرب للنشر، 1997م، ص138، 40.

(11) انظر تفصيلاً لذلك عند: البسام،أحمد بن عبد العزيز: الحياة العلمية فى وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين واثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، دارة الملك عبد العزيز، سلسلة الرسائل الجامعية، (13)، الرياض، 1426هـ.

(12) الدخيل، سليمان: "نجد"، مجلة لغة العرب، مج 1 ،1911، ص ص 21-24.

(13) البهكلي، عبد الرحمن بن احمد: نفح العود في سيرة الشيخ حمود، تحقيق محمد بن احمد العقيلي، ط2 جازان، مطابع جازان، 1406هـ، ص 314.

(14)العيسى، مى بنت عبد العزيز: الحياة العلمية في نجد من قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية(8)، جامعة الملك سعود، 1419هـ، ص218.

(15) ابن غنام، حسين: تاريخ نجد، حرره وحققه ناصر الأسد، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1415ه، ص81، 88، خزعل، حسين خلف الشيخ: تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطابع دار الكتاب، بيروت، 1388هـ، ص 339–340.

(16)البسام: مرجع سابق، ص321 –322.----(17) فالين: مصدر سابق، ص118، 145– 146 ،283،178 نولده: مصدر سابق، ص38.

(18) بلجريف: مصدر سابق، 157.--- (19) بلجريف: مصدر سابق، ص161، 163.

(20) بلجريف: مصدر سابق، ص242.--- (21) بلجريف: مصدر سابق، ص163.----(22) بلجريف: مصدر سابق، ص159، 162–163.

(23) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار، المطبعة الاعلامية، القاهرة، 1303هـ، ج4، ص157.

(24) هوب، ستانتون: الهارب إلى الله قصة الحاج عبد الله وليامسون،ت رحمة رضوان مولوي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م، ص154.---

(25) بلجريف: مصدر سابق، ص 162–163.--- (26) فالين: مصدر سابق، ص105.

(27) بلجريف: مصدر سابق، ص163.--- (28) فالين: مصدر سابق، ص 104–105.----(29) فالين: مصدر سابق، ص 105.

(30) الحلبي، فتح الله الصايغ: رحلته الى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية، تحقيق يوسف شلحد، دمشق، ط2 ،1994م، 249، داوني: مصدر سابق، ص191.--- (31) نولده: مصدر سابق، ص 40.----(32) مصدر سابق، ص40.--- (33) مصدر سابق، ص105.

(34) بلنت، الليدى آن: رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة وتعليق احمد ايبش، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2005م، ص275.

(35) جورماني، كارلو كلاوديو: نجد الشمالي رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم عام 1864م، ترجمة وتعليق أحمد أيبش، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، 2009م، ص88، 136.---- (36) مصدر سابق، ص 257.

(37)بلجريف: مصدر سابق، ص94، 151، 160، 165، بلنت: مصدر سابق، ص234، فايس، ليوبولد: هجرة صحفي أوربي إلى جزيرة العرب، تهذيب سعد بن عبد الرحمن الحصين، د.م، 2000م، ص106.

(38) ابن بشر، عثمان بن عبدالله: عنوان المجد في تاريخ نجد،حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط4 مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1403ه ،ج1، ص 364، صبري، أيوب: مرآة جزيرة العرب، ترجمة احمد فؤاد متولي والفصافي المرسي، دار الافاق العربية، 1999م ص278، بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب، نقله إلى العربية قدري قلعجي، دار الكتاب، د.ت،،ص295، الرديعان: مرجع سابق، ص 123.

(39) حسني، حسين: مذكرات ضابط عثماني في نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م،ص53.

(40) مصدر سابق، ص106.---- (41) نولدة: مصدر سابق، ص45.

(42) القاضي، محمد عثمان: *روضة الناظرين* **عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1403ه ،ج1، ص172.

(43) مصدر سابق، ص163.---- (44) بلجريف: مصدر سابق، 159.---(45) بلجريف: مصدر سابق، ص166.

(46) مصدر سابق، ص257.---(47) داوني: مصدر سابق، ص201.

(48) هوبير، شارل: رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، ترجمة اليسار سعادة، كتب، بيروت، 2003م، ص 53.

(49) اوتيج، يوليوس: رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمه وعلق عليه سعيد بن فايز السعيد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1419هـ، ص97–98، داوني: مصدر سابق، ص223.---(50) نولده: مصدر سابق، ص257.---(51) نولده: مصدر سابق، ص93.

(52) اوتينج: مصدر سابق، 98.--- (53) فهرس مخطوط بمحتويات مكتبة البنيان في حائل/دون رقم.

(54) مصدر سابق، ص 51.--- (55) نفسه.--- (56) نولده: مصدر سابق، ص92.--- (57) نولده: مصدر سابق، 45.

(58) بلنت: مصدر سابق، ص250.

(59) الالوسي، محمود شكري : تاريخ نجد، عنى بتحقيقه محمد بهجة الاثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص20.

(60) العفنان، سعد بن خلف: حائل وعبقرية المكان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1414ه، ص 87.

(61) لوريمر، ج.ج.: دليل الخليج، القسم الجغرافي، طبعة جديدة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، الدوحة (د.ت)، ج6، ص 2248، بلجريف: مصدر سابق، ص150، فايس: مصدر سابق، ص106.---(62) مصدر سابق، ص ص 119–123.

(63) بلنت،: مصدر سابق، ص 242.---- (64) بلنت: مصدر سابق، ص236.

(65) البركاتي، شرف بن عبد المحسن: الرحلة اليمانية، دار الوراق للنشر، لندن، 2007م، ص 155، حسني، حسن: مصدر سابق، ص 55. بلنت: مصدر سابق، ص251، 303، اوتينج: مصدر سابق، ص105، فالين: مصدر سابق، ص 100، 183.

(66) السويداء، عبد الرحمن: منطقة حائل عبر التاريخ، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، 1430ه، ص 408.

(67) فالين: مصدر سابق، ص 107.---- (68) بلجريف: مصدر سابق، ص197، داوتي: مصدر سابق، ص205.

(69)المقدمة، دار القلم، بيروت، ط5 1984، ص120.---(70) المقدمة، ص435.---(71) بلجريف: مصدر سابق، ص150.

(72) الموسوي، عباس بن علي بن نور الدين: نزهه الجليس ومنيه الأديب الأنيس، منشورات المطبعة الحديثة في النجف الأشرف، 1967، ج1 92.

فالين: مصدر سابق، ص 97، 98، 99، 124، 131، 132، جورماني: ص82، بلنت: مصدر سابق، ص243، اوتينج: مصدر سابق، ص104، لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2241.

(73) فالين: م.س، ص99، 111، 181، هوبير: م.س، ص51، جورماني: م.س، ص75.، صبري: مصدر سابق، ص248، لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2241، بتس، جوزيف: رحلة إلى مصر والحجاز، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص66

(74) بلنت: م.س، ص249، 262، 275، اوتينج: م.س، ص101، دواتي، تشارلز: رحلات تشارلز دواتي في الجزيرة العربية، ترجمة عدنان حسن، دار الوراق للنشر، 2009م، ص 203، حسين: م.س، ص36.

(75) فالين: م.س،، ص 100، 125،،103، 128، 133، بلنت: م.س، ص237، 279، بلجريف: م .س، ص94، 161، 165، 235.

(76)جورماني: م.س، ص78، موزل: "تاريخ بيت آل رشيد"، مجلة العرب، ع 7–8، السنة العاشرة، 1976م/1396هـ، ص567، 570–571، لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2244، اوبنهايم، ماكس، وآخرون: البدو، الجزء الثالث شمال ووسط الجزيرة العربية والعراق الجنوبي، ترجمة محمود كبيبو، شركة دار الوراق للنشر المحدود، لندن، 2004م، ص77.--- (77) بلنت: مصدر سابق، ص281.

(78) مصدر سابق، ص45، ثم تابع لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2244.---(79) العثيمين: المرجع السابق ،ص 90.

(80) بلجريف: مصدر سابق، ص161، اوتينج: مصدر سابق، ص114.

(81) الألوسي: مصدر سابق، ص20، حسين: مصدر سابق، ص72.---(82) بلجريف: مصدر سابق، 215.

(83) فالين: مصدر سابق، ص106، جورماني: مصدر سابق، ص81، حسين: مصدر سابق، ص57. انظر سجلاً لرواتب بعض العلماء وطلاب العلم من أهل حائل محفوظ في مكتبة البنيان/دون رقم.

(84) نولده: مصدر سابق، ص 45. ثم تابع بهذا الخصوص البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح: علماء نجد خلال ستة قرون، ط2، دار العاصمة، الرياض، 1419هـ ج1، ص219، ج2، ص462، ج4، ص329، ج6، ص496.

(85) تنتشر وقفياتهم في العديد من مكتبات حائل بشكل يسمح بإجراء دراسة منفردة.----(86) مصدر سابق، ص 104.

(87) مصدر سابق، ص160، 285.---(88) مصدر سابق، ص234، ثم تابع لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2244.

(89) بلنت: مصدر سابق، ص282.---(90) بلجريف: مصدر سابق، ص161، اوتينج: مصدر سابق، ص114.

(91) بلجريف: مصدر سابق، ص197.---(92) مجموعة مؤلفين: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط5 ،1416هـ/1995م،(د.م)، ج23، ص 390، ابن بشر: مصدر سابق، ج1، ص 364،

(93) عن هؤلاء القضاة ودورهم الفكري في حائل أنظر الهندي، على بن محمد: زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، تحقيق إبراهيم بن عبد الله الحازمى، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، 1427هـ، ص 23، 29، القاضي: مصدر سابق، ج1، ص 260، 370، آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط2 دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1394هـ، ج1، ص 130–131، البسام، عبد الله: المرجع السابق، ج2، ص462.---- (94) مصدر سابق، ص ص 106–107.---(95) نولده: مصدر سابق، ص54–55.

(96) حول الكتاتيب ومنظومة التدريس بها انظر دهيش، عبد اللطيف: الكتاتيب فى الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1406هـ/ 1986م، السلمان، محمد عبدالله: "الكتاتيب فى عهد الملك عبد العزيز ودورها الثقافي فى نجد"، مجلة الفيصل، ع191، جمادى الاولى 1413هـ، السدلان، صالح بن غانم :"الكتاتيب وتعليم الحجرات والخلاوي في العالم الاسلامي"، مجلة الحرس الوطني، ع 138، شعبان 1414هـ، العمير، عبد الله إبراهيم: "الأدوات والمواد المستخدمة في الكتابة بكتاتيب نجد"، مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود،1417هـ.

(97)حسين: مصدر سابق، ص53، إبراهيم، محمد إبراهيم :"دراسة تاريخية للتعليم في إقليم نجد"، مجلة التربية المعاصرة، ديسمبر1987م، ص279.–

-- (98) **مصدر سابق، ص59.----**(99) حسين: مذكرات ضابط عثماني، ص53.

(100) عن أشهر كتاتيب حائل خلال فترة البحث انظر: العريفي، فهد:قضاة مدينة حائل، الرياض، مطابع دار الجسر، ،1415هـ، ص 102، السويداء: الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية، دار السويداء للنشر التوزيع، الرياض، 1423ه، ص 34–35.

(101) فالين: مصدر سابق، ص107، لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2243.---(102) داوتي: مصدر سابق، ص199

(103) حسين: مصدر سابق، ص53.---(104) نقلاً عن الرديعان: مرجع سابق، ص50.---(105) فالين:صدر سابق،54.

(106) بلجريف: مصدر سابق، 215.---(107) بلجريف: مصدر سابق، 216.

(108) البسام، عبد الله: المرجع السابق، ج2، ص17.---(109) مصدر سابق، ص 212، 215، 221، 216.

(110) هي البناية المخصصة للدراسة، ويقصدها طلاب العلم، ويدرّس فيها معلمون وأساتذة وعلماء. سامعي اسماعيل: معالم الحضارة العربية الاسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص312.---(111) فالين: مصدر سابق، ص107.---(112) نولده: مصدر سابق، ص45.

(113) نقلاً عن الحماد، حمد بن سلطان: حكم محمد العبد الله بن رشيد لنجد، بحث مقدم لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة الملك سعود، 2004م، ص124.---(114) مصدر سابق، ص20.

(115) مصدر سابق، ص 107، تابع إشارة أخرى ص 55.----(116) فالين: مصدر سابق، ص 106.

(117) مصدر سابق،ص107، تابع اشارة شبيهة عند داوتي: مصدر سابق، ص177.

(118) تند وقفيات الكتب المحفوظة في مكتبات حائل عن الحصر، والتي تنوعت من خلالها فئات الواقفين.

(119) بيعت مخطوطة "كشاف القناع عن متن الإقناع " للبهوتي(ت1051ه) في سوق حائل عام 1304ه/1887م بستة وثلاثين مجيدياً، ولنا أن نقدر ارتفاع هذا الثمن إذا عرفنا أن دارا بيعت في نفس السنة بثمن قدره خمسة وستون مجيدياً. العريفي، أحمد: مقامات حائلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1428هـ، ج1، ص 91، 92.----(120) الهندي: مصدر سابق، ص9.

(121) الهندي: مصدر سابق، ص 11.---(122) الهندي: مصدر سابق، ص11.---(123) الهندي: مصدر سابق، ص18.

(124) للمزيد عن هذه المكتبات يرجى الرجوع إلى الرديعان، حسان:فهارس المخطوطات الأصلية في مدينة حائل،إصدارات دارة الملك عبد العزيز، (رقم 256)الرياض، 1431 هـ.----(125) نقلاً عن الحماد: مرجع سابق، ص127.

(126) العفنان، سعد بن خلف:"المكتبات في حائل"، مجلة تجارة حائل، عدد91، السنة 11، رمضان 1414هـ، ص50.

(127) بلجريف: مصدر سابق، 193.---(128) بلنت: مصدر سابق، ص269.

(129) ينسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده اثنين وعشرين مصنفا فى العقيدة وحدها. انظر العيسى، مي: المرجع السابق، ص 153.

(130) فالين: مصدر سابق، ص108.---(131) صبري: مصدر سابق، ص278.---(132) بلجريف: مصدر سابق، ص215، 216.

(133) الهندي: المصدر السابق، ص31، 127/القاضي: المصدر السابق، ج2، ص138–139/الرديعان: منبع الكرم، ص160، 170.

(134) مصدر سابق، ص178.---(135) الحماد: مرجع سابق، ص137.---(136) مصدر سابق،، ج4، ص1632.

(137) لوريمر: مصدر سابق، ج6، ص2243–2244.---(138) بلجريف: مصدر سابق، ص133.

(139) مصدر سابق، ص192.---(140) مصدر سابق، ص107.---(141) مصدر سابق، ج6، ص2243.

(142) انظر نماذج لشعر آل رشيد عند ابن عقيل، عبد الرحمن: ديوان الشعر العامي بلغة أهل نجد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1406هـ، الأصمعي:" مجموعة حائل في الشعر النبطي"، مجلة فواصل، عدد44، يناير 1998م.

(143) انظر ديوانه، جمع وتحقيق إبراهيم الخالدى، سلسلة المختلف للتراث الشعبى، شركة المختلف للنشر والتوزيع،ط2، الكويت 2002م.

(144) انظر طرفاً من شعرهم عند السويداء: منطقة حائل، ص630–633.---(145) مصدر سابق، ص102

(146) اوبنهايم: ،ماكس، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، لندن، دار الوراق، د.ت، ص119.

(147) اوتينج: مصدر سابق، ص113.--- (148) **مصدر سابق، ص**308.**---**(149) مصدر سابق، ص104–105.

(150) حسني: مصدر سابق، ص53.---(151) مصدر سابق، ص51.---(152) مصدر سابق، ص192.

(153) بلجريف: مصدر سابق، ص145، 192.---(154) مصدر سابق، ص106.--- (155) مصدر سابق، ص53.

(156) بلجريف: مصدر سابق، ص174.---(157) بلجريف: مصدر سابق، ص144.---(158) مصدر سابق، ص191.

(159) بلجريف: مصدر سابق، ص183 ،184–185.---(160) مصدر سابق، ص253.

(161) بلجريف: مصدر سابق، 182.---(162) بلنت: مصدر سابق، ص243.---(163) بلجريف: مصدر سابق، 182.

(164) حسني: مصدر سابق، ص75–76.---(165) داوتي: مصدر سابق، ص242.---(166) مصدر سابق، ص 177.

(167) مصدر سابق، ص 45.---(168) بلجريف: مصدر سابق،ص197.---(169) نولده: مصدر سابق، ص45.

(170) مصدر سابق، ص243.---(171) اوتينج: مصدر سابق، ص114.---(172) مصدر سابق، ص204.